مداخلة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في لقاء "قادة من أجل التفاهم الدينيّ" لمنتدى التنمية والثقافة والحوار، يوم الأربعاء الواقع فيه ١٢ أيلول (سبتمبر) ٢٠١٨، في قاعة جوزيف زعرور، حَرَم العلوم الإنسانيّة.

أودّ بدايةً الترحيب بكم أشدّ الترحيب في هذه الدار الأكاديميّة، جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في هذا الحَرَم، حَرَم العلوم الإنسانيّة ومنها الدينيّة ومنها معهد الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة الذي تأسّس منذ ٤٠ سنة ونيف.

نحن نعلم أنّ وجود الجامعة اليسوعيّة في هذه المنطقة بالذات وعلى خطّ التماس من ساحة الشهداء حتّى المتحف، وخصوصًا حَرَم العلوم الطبيّة، كان مهدّدًا بالزوال خلال الحرب التي فُرضت على لبنان بين السنوات ١٩٧٥ و ١٩٩٠. بالفعل إنسحبت الجامعة من هذه المنطقة لتكمل رسالتها في مناطق أخرى، إلاّ أنّ حيويّة معهد الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة الذي أسّسه مسيحيّون ومسلمون خلال الحرب وما حقّقه بتواضع من تقريب لوجهات النظر ومن عمل معرفيّ متبادل بين المسلمين والمسيحيّين اللبنانيّين، هذه الحيويّة فتحت الباب أمام التواصل والتفاعل والخطاب المشترك والتعارف المُغني هي التي دفعت الجامعة إلى إعادة بناء حَرَم العلوم الطبيّة وكذلك إلى إنشاء أحرام أخرى في هذه الساحة بالذات، للدلالة أنّ الجامعة هي في عمق رسالتها جامعة عندما وسّعت حضورها وكأنّ هذا الحضور هو جسرٌ يعبر عليه ومنه مختلف الفرقاء للحديث عن مختلف القضايا. وهو جسرُ حوار حيث أنّ الكلمة هي أداة بناء المجتمع، وهي الكلمة الصريحة المحترمة للآخر والتي تفسح المكان للآخر على اختلافه. حضور الجامعة في هذه المنطقة اليوم بأكثر من ستّة أو سبعة الآف طالب من كلّ الفئات والأحزاب والطوائف يشكّل تلك المساحة العامّة التي يستطيع فيها ومنها الشباب والأساتذة والكثيرون ممّن يرتادون هذه الأحرام أن يعيشوا التعدّديّة وأن يمارسوا حريّة الرأي ضمن ضوابطها الأخلاقيّة وأن يشعروا

بأنّ هدف لبنان المثاليّ هو أن يكون مساحة للتعدّديّة والحوار والمواطنة والحريّات. فموقفنا وموقعنا ها هنا هو رفض للوصايات أي للهويّات المنغلقة على ذاتها والتي تتحوّل إلى أداة قتل على الهويّة مثلما حدث إبّان الحرب اللبنانيّة ومثلما حدث ويحدث في الحرب السوريّة. وقمّة الهويّة القاتلة هي إعدام داعش لكلّ حياة لا تشبه الحالة الداعشيّة من قريب ومن بعيد وهذه العصبيّة أشدّ شرًّا من الأميّة في العالم العربيّ الإسلاميّ أو أنّها الأميّة الأخلاقيّة النفسيّة التي لا تعترف بالآخر ولا بوجوده مختلفًا وبالتالي تنبذ التعدّديّة الثقافيّة والدينيّة.

تمادي العصبيّة وتحوّلها إلى حرب مفتوحة يدلّ ليسا فقط على وجود أزمة تاريخيّة في العلاقات بين المجموعات وفي النظرة إلى الآخر بل على وجود أزمة تهدّد المصير وخصوصًا مصير الجماعات المستضعفة التي تستند إلى الدولة كضامنة لوجودها وحريّاتها. كيف نواجه هذه الأزمة اليوم ونحن ما زلنا تحت وطأة الخطاب الداعشي الذي تجلّى في خطاب وممارسات الدولة الإسلاميّة المقيتة التي قتلت الأخضر واليابس، إلاّ أنّ الخطاب الداعشي ربّما هو موجود اليوم كردّة فعل على الأقلّ عند أكثر من فريق وجماعة.

أقول كيف نواجه هذه الأزمة التي وضعتنا في حالة عنف وضياع فلا شكّ أنّ الإعلانات المتعدّدة التي صدرت منذ ثلاث سنوات وحتّى اليوم من مؤسّسات رائدة هي بليغة وهامّة فأختار منها أربعة : إعلان الأزهر حول المواطنيّة والعيش معًا في ٢٠١٧/٣/١ وإعلان بيروت على اثر مؤتمر دعا إليه البطريرك الراعي في جامعة اللويزة في ٢٠١٧/٧/١ وإعلان بيروت للحريّات الدينيّة الصادر عن جمعيّة المقاصد الإسلاميّة الخيريّة في بيروت في ٢٠١٥/٦/٢٠، ومؤتمر الجامعة الأميركيّة في القاهرة بالتعاون مع مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائيّة في ٢٣ و٢٠١٧/٤/٢٤. ومن العلامات المنيرة المميّزة التي تصبّ في الاتّجاه نفسه اللّقاء الذي عُقد منذ عشرة أشهر في جامعة القدّيس يوسف في بيروت في ٢٠١٧/١١/١٠ لمناسبة الأربعين سنة على تأسيس معهد الدراسات الإسلاميّة المسيحيّة حيث شاركت فيه أصوات متعدّدة ومختلفة دعت إلى صوت

التعدّديّة والعيش المشترك والحريّات على مختلف أنواعها وبذلك إلى تعزيز مسيرة المعهد في إعداد القادة الدينيين وتخريج الأساتذة الذين يعملون على نشر مفاهيم العيش المشترك والسلم الإجتماعيّ وعلى تعزيز حضور الدولة ولا أودّ الخوض في مختلف الطرق والأبعاد التي من خلالها نواجه الأخطار المحدقة بالتعدّديّة وبالحريّات وبالعيش معًا. أكتفي ببعض الأفكار على المستوى الثقافيّ، مع العلم أنّ هناك ثلاثة مستويات أخرى كالمستوى السياسيّ والحقوقيّ والدينيّ...

أطرح سبع أفكار تصلح أدوات تحديد لثقافاتنا في تعزيز التعدّديّة والعيش المشترك وصون الحريّات.

أوّلاً: نتكلّم كثيرًا ونفعل قليلاً على الأرض... حضارتنا حضارة خطابيّة فيها الجيّد من الأفكار إلاّ أنّنا نتوقّف عند ذلك. النموذج السويسريّ هو صالح لنا لأنّ السويسريّين يتكلّمون قليلاً وقد فعلوا ويفعلون الكثير وقد كتب أحدهم ويُدعى دني دو روجمون Denis de Rougemont كتابًا بعنوان : *Penser avec les mains* ومعنى العنوان أنّ التفكير النظريّ ينبغي أن يجد كماله في الفعل والعمل.

ثانيًا: أهميّة القِيَم المشتركة، حتّى لو أنّ تراتبيّة القِيَم هي مختلفة بين دين وآخر وأنّ الكلمات مختلفة، إنّما تصبُّ في معنى واحد في الإسلام والمسيحيّة. الرحمة تقول بأنّ لا عدل بدون رحمة ولا تسامح بدون رحمة وإلاّ كان ذلك لياقة ومجاملة إجتماعيّة وكذب والتقوى هو التماس الرحمة. في المسيحيّة المحبّة هي أساس وهي التعبير الحقيقيّ لحضور الله في العالم. والمحبّة هي الطريق إلى الخلاص وإلى التحرُّر من كلّ عبوديّة وأساس لممارسة الحريّة. والمحبّة تقود حكمًا إلى العدل والحكمة.

الرحمة في الإسلام والمحبّة في المسيحيّة هما صنوان.

ثالثًا: تغليب الإيجابيّ على السلبيّ – نقرأ التاريخ كحلبة مصارعة وغلبة الواحد على الآخر في حين أنّ هناك الكثير من الإيجابيّات المطموسة التي هي فعل إرادة حرّة وواعية. في هذا الإطار،

نواجه العصبيّة القاتلة في الخطاب التواصليّ الإيجابيّ والمتفاعل مع الآخر لا الخطاب النرجسيّ الإقصائيّ.

رابعًا: بناء المواطنيّة في قلب كلّ إنسان كقيمة ثقافيّة سياسيّة قانونيّة وهي تتضمّن قيمة وجوديّة أساسيّة هي المساواة أمام الحقوق والواجبات، عندما نتكلّم عن التعدّديّة وخصوصًا التعدّديّة الدينيّة وعن إدخال الدين للمواطنيّة كمفهوم أساسيّ يدافع عنه الدين. وهنا نراجع إعلان الأزهر، بمعنى أنّ المواطنة تفترض المساواة بين أبناء المجتمع الواحد حيث أنّ نظام الحكم، مهما كان ذلك الحكم لا يستطيع التمييز بين مواطن وآخر على أساس الدين أو العرق أو اللّون الخ... ثقافة المواطنة والتثقيف على حبّ المواطنة هي أساس العمل التربويّ. مع إعلان الأزهر أصبحت المواطنة قضيّة كلّ دين ونظامًا سياسيًّا وتربويًّا لأنّ الإسلام رأى في المواطنيّة قيمة إيجابيّة مؤسّسة للسلم الإجتماعيّ. الاطّلاع على الفكر الحديث حول المواطنيّة المركّبة هو أمر ضروريّ وهو فكر يجمع ما بين وحدة التعدّد وبين الإجتماع والتنوّع ويصيغ ما نسمّيه اليوم الوحدة في التنوّع.

خامسًا: مراجعة النصوص والمناهج المدرسيّة من خلال غربلة الموروث الذي يُقزّم الآخر ويلغيه ومن ثمّ التركيز على أدوات الحوار والتواصل. كيف نبني ثقافة الحوار وفي نصوصنا الكثير من النظريّات والآراء المسبقة التي تكفِّر الآخر وتلغيه من قاموس الله. العمل على توضيح المفاهيم والمصطلحات الإشكاليّة هو واجب دينيّ ومعرفيّ. في هذا الإطار يجدر بنا مراجعة مضامين التعليم الدينيّ في المجتمعات العربيّة وهي مضامين ترجّح العقائديّ المنغلق على أيّ تفسير يأخذ بعين الإعتبار ثوابت العلوم الإنسانيّة وحتّى الدقيقة وكذلك ترجّح الأخلاقيّات وفروع الفقه على الروحانيّة التي هي منبع الإيمان. وبالتالي يسهل تعبئة الشبيبة وتوجيهها نحو الفكر الإقصائيّ وصوب العنف ضدّ الآخر المختلف.

سادسًا: صياغة برامج لمعالجة منابع العنف وهي منابع تفوق منابع النفط. وأساس المشكلة هو فهم التعليم التلقينيّ لا التفكيريّ الذي يطرح الأسئلة على الذات.

سابعًا: دَور الإعلام بحاجة إلى مراجعة نقديّة أخلاقيّة.

أحيّي من كلّ القلب وبوافر الوعي هذه المبادرة التي يساهم فيها أكثر من فريق وخصوصًا "الدان ميشين" (Dan Mission) في إعداد القادة الدينيين من أجل تفاهم أفضل ومن أجل عالم عربيّ أفضل، ونحن اليوم بأشدّ الحاجة إلى هؤلاء القادة الذين تكمن مهمّتهم في التغيير المجتمعيّ والثقافيّ في أوساطهم ومجتمعاتهم. وفّقكم الله وأنجح قضيّتكم التي هي قضيّة الجميع ومنها الجامعة.